السياق وأثره في التحليل النحوي

أ. رامي عادل محمد رفاعي

مدخل:

لقد استطاعت العربية منذ نشأتها إلى عصرنا هذا المرور بأطوار متعددة استحدثت خلالها سيلًا متشعبًا من الطرق الفنية للربط بين المفردات والجمل، وعملت على خلق دلالات متنوعة تتوافق مع أغراض مختلفة، وإن هذا التوسع في التركيب، وذلك الاستحداث الفني الذي قصَرت عنه كل لغة أخرى تطلَّب من علمائها مسيرة طويلة من الاجتهاد يتتبعون خلالها تلك الطرق الفنية ويكشفون عن دلالاتها، وهم في عملهم هذا ساروا على أصول ثابتة، ومناهج موحدة، وإنَّ ممارساتهم تلك انثالت بدون حد فاصل بين عملية التنظير، وعملية التطبيق، وإنَّ البحث في الأصول التي أقام عليها النحاة تحليلاتهم والأدلَّة التي استوعبتها ممارساتُهم، لهو الخطوة الأولى في مشروع النظرية اللغوية العربية الأصيلة، فاللغة العربية في أمسِّ الحاجة إلى دراسة معاصرة أصيلة، تليق بشرفها، ينهض بها أبناؤها.

وإن من أهم الأدلة، والأصول التي أقام عليها النحاة تحليلاتهم النحوية السياق بشقيه؛ الموقف، واللغوي، ومن قديم تجلت أهمية السياق في الدرس البلاغي العربي في عبارتهم الدالة : (لكل مقام مقال)، كما عَرَفَه النحويون باسم قرائن الأحوال، وكذلك شمل مصطلح السياق عند الأصوليين دلالتي المقام والمقال معًا في كثيرٍ من استخداماتهم، وقد تجلى مفهوم السياق اللغوي في الدرس العربي من خلال قضية النظم التي أثارها عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، وفي كثير من ممارسات اللغويين التطبيقية، ولعلي من خلال تناولي هذا أساعد من جانب في الكشف عن أصل من أصولهم التحليلية، ومن جانب آخر أقدم خُطوة أصيلة تساهم في عملية تحليل النص، وإظهار مكنوناته، "فقرينة السياق كبرى القرائن بحق؛ لأن الفرق بين الاستدلال بها على المعنى، وبين الاستدلال بالقرائن اللفظية النحوية كالبنية والإعراب والربط والرتبة والتضام، هو فرق ما بين الاعتداد بحرفية النَّص والاعتداد بروح النص" ١ .

• المصطلح والمفهوم

كثير من المصطلحات العلمية شاع استعمالها بين الدارسين حتى توهموا أن هذا المصطلح أو ذاك واضح ومفهوم، فإذا ما حاولوا تحديد معناه، بدا الأمر عسيرًا غاية العسرة. ومن تلك المصطلحات اللغوية الشائعة الاستعمال، العصية على التحديد الدقيق مصطلح السياق الذي نحن بصدد تحديده ٢، كما صرح جون لاينز أيضا بأنه: " لا يمكن إعطاء جواب بسيط على السؤال : ما السياق؟ " ٣.

ويرى الدكتور تمام حسان أنَّ " المقصود بالسياق التوالي، وأنه يمكن تقسيمه قسمين: الأول ما يمكن تسميته سياق النص، وهو توالى العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك. والقسم الآخر يسمَّى سياق الموقف أو الحال، وهو توالى الأحداث التي تصاحب الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال" ٤، فإن وصفنا عناصر التركيب بالفصاحة، وصف لها من جهة معناها، لا من جهة الألفاظ نفسها٥، وقد دفعتهم طبيعة هذه العلاقة إلى التوسع في التركيب وما يقتضيه من القرائن والأدلة، وأما السلوك الذي يصاحب الكلام، والمعروف بالسلوك غير اللغوي فيعدِّل معناه أو يضيف إليه أو يقلب المعنى تمامًا،

مثل : حركات اليد والأصابع والعين والفم والعنق والكتفين، وما إلى ذلك ٦ .

فإن المعنى الحرفي غير كافٍ لفهم ما قيل؛ لأنه قاصر عن إبداء الكثير من القرائن الحالية التي تدخل في تكوين المقام ٧.

وإن كان مصطلح السياق يحيط به بعض الغموض، فإنَّ كثيرًا من الأصوليين، والبلاغيين، واللغويين قد ضمت مؤلفاتهم مفاهيم وإشارات واعية، يمكنها أن تضع لنا أساسًا، وأن ترسم لنا معالم الطريق .

- السياق عند الأصوليين

لا يمكنك أن تجد أحدًا من الأصوليين عرَّف(دلالة السياق) تعريفًا جامعًا مانعًا؛ لأنهم لا يقصدون التأليف فيها مباشرة، لكنهم يذكرونها عرضًا في دلالات الألفاظ لتعلُّق الألفاظ بالسياق٨ ؛ فعندهم لا يليق بكلام الله (تعالى) ورسوله (ص) أن يُفهم بمعزل عن سياقه " فلا بدّ فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلّا صار ضحكة وهزءة ألا ترى إلى قولهم: ... عظيم الرماد، أو جبان الكلب، وما لا ينحصر من الأمثلة لو اعتبر اللفظ بمجرده لم يكن له معنى معقول. فما ظنك بكلام الله، وكلام رسوله (ص)؟ " ٩، " فالسياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة. وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته. فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾١٠ كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"١١، فإنَّ دلالة السياق عندهم " لا يقام عليها دليل"١٢، وقد عدَّوه من قواعد أصول الفقه، ولكن قلَّ من تكلم عنها وأعطاها حقها من الدراسة١٣.

وقد يُقصد بالسياق عندهم جملة العناصر المقالية المحيطة بالآية، أو الجملة موضوع الدراسة، فيقول الشافعي(ت٢٠٤هـ):"فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها. وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عامًا ظاهرًا يراد به العام الظاهر ويستغني بأول هذا منه عن آخره، وعامًا ظاهرًا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه. وعامًا ظاهرًا يراد به الخاص . وظاهرًا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره" ١٤.

فسياق النظم ضمن الأنواع الخمسة التي يُترك بها الحقيقة؛ " فقد تُترك بدلالة الاستعمال والعادة، وقد تترك بدلالة اللفظ في نفسه، وقد تترك بدلالة سياق النظم، وقد تترك بدلالة ترجع إلى المتكلم، وقد تترك بدلالة في محل الكلام " ١٥، فقد تُركت حقيقة الأمر والتخيير في قوله تعالى:﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾١٦ بقوله (تعالى) : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً﴾،وحمل على الإنكار والتوبيخ مجازًا ١٧.

وقد يقصد بالسياق ما يلحق الآيه أو الجملة فقط دون ما يسبقها، ويظهر ذلك في قولهم:صدر الآية وسياقها ١٨،أوالسياق والسباق١٩، ففي قوله تعالى:﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٠ أي أحللنا لك من وقع لها أن تهب لك نفسها ولا تطلب مهرًا... وكان (ص) مخصوصًا بذلك بخلاف سائر المؤمنين، فالقضية ليست حول انعقاد النكاح بلفظ الهبة له خاصة، والدليل على ما ذكرنا صدر الآية وسياقها فإن المذكور في أول الآية: ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾٢١وفي سياقها ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾٢٢ فعرفنا أنَّ الخلوص له الإباحة بغير مهر، وأنَّ لا إباحة لغيره إلا بفرض ومهر، ولأن الخصوصية لإبانة الشرف، ولا يتبين ذلك في التخصيص باللفظ ٢٣ .

وأرادوا بالسياق أحيانًا كل ما يعين على معرفة قصد الشارع " فإنَّ الاستدلال بعبارة النص هو العمل بظاهر ماسيق الكلام له، والاستدلال بإشارته هو العمل بما ثبت بنظمه لغة، لكنه غير مقصود ولا سيق له النص وليس بظاهر من كل وجه، فسميناه إشارة كرجل ينظر ببصره إلى شيء، ويدرك مع ذلك غيره بإشارة لحظاته. ونظيره قوله تعالى:﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾٢٤إنما سيق النص لاستحقاق سهم من الغنيمة على سبيل الترجمة لما سبق واسم الفقراء إشارة إلى زوال ملكهم عما خَلفوا في دار الحرب" ٢٥، "فالثابت بعين النص ما أوجبه نفس الكلام وسياقه ... فكان التمسك في إثبات الحكم بظاهر أو مفسَّر أو خاص أو عام أو صريح أو كناية أو غيرها استدلالا بعبارة النص لا غير، هو العمل بظاهر ما سيق الكلام له" ٢٦.

"فإن العرب تطلق ألفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميمه، مما يدل عليه معنى الكلام خاصة، دون ما تدل عليه تلك الألفاظ بحسب الوضع الإفرادي؛ كما أنها أيضا تطلقها وتقصد بها تعميم ما تدل عليه في أصل الوضع. وكل ذلك مما يدل عليه مقتضى الحال"٢٧، وقد تحمل العرب اللفظ على عمومه في كثير من أدلة الشريعة، مع أن معنى الكلام يقتضى على ما تقرر خلاف ما فهموا؛ "فإن للفظ العربي أصالتين: أصالة قياسية، وأصالة استعماليه. فللاستعمال هنا أصالة أخرى غير ما للفظ في أصل الوضع، وهي التى وقع الكلام فيها، وقام الدليل عليها " ٢٨، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ

يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾٢٩ فقد شق ذلك على الصحابة، فقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال :« إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقمَان: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾٣٠... »" ٣١، وفي ضوء السورة بكاملها يفسر الشاطبي(٧٩٠هـ) معنى الظلم فيقول: " إن السورة من أولها إلى آخرها مقررة لقواعد التوحيد، وهادمة لقواعد الشرك وما يليه" ٣٢.

وقد راعى الأصوليون سياق الموقف أو المقام من خلال الدور الذي يؤديه المتكلم والمخاطب، وظروف الخطاب في الكشف عن الدلالة، فعندهم العلوم الحاصلة على حكم العادات " مرتبة على قرائن الأحوال، وهي لا تنضبط انضباط المحدودات بحدودها، ولا سبيل إلى جحدها إذا وقعت...، فإذا ثبتت هذه القرائن ترتب عليها علوم بديهية لا يأباها إلا جاحد" ٣٣.

وكذلك تظهر عنايتهم بسياق الموقف أو المقام في اهتمامهم بأسباب النزول؛ فإن معرفتها لازمة لمن أراد علم القرآن ٣٤.

- السياق عند البلاغيين

" لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة (المقام) متقدمين ألف سنة تقريبًا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي (المقام) و(المقال) باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة " ٣٥.

"وفكرة (المقام) هذه هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر ...، وهو الوجه الذي تتمثَّل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء (المقال). ومن المعروف أن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي)، وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلّا (معنى المقال) أو (المعنى الحرفي) كما يسميه النقاد، ...،وهو - مع الاعتذار الشديد للظاهرية- معنى فارغ تمامًا من محتواه الاجتماعي والتاريخي منعزل تمامًا عن كل ما يحيط بالنص من القرائن الحالية " ٣٦.

فلكل مقام مقال شرط اعتمده البلاغيون في بلاغة الكلام، " فإذا أعطيت كلّ مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيهما شيء" ٣٧.

"فالبلاغة تنبئ عن الوصول والانتهاء، يوصف بها الكلام والمتكلم دون المفرد، إذ لم يسمع كلمة بليغة؛ والتعليل بأن البلاغة إنما هي باعتبار المطابقة لمقتضى الحال، وهي لا تتحقق في المفرد" ٣٨؛ فالكلمة المفردة لا توصف بالبلاغة وإنما توصف بالفصاحة فالبلاغة مدارها المطابقة لمقتضى الحال الذي يستدعيه السياق والمقام، ولا سياق أو مقام للكلمة المفردة المبتورة.

وزيادة في هذا البيان، يقول صاحب جواهر البلاغة: إن البلاغة في الكلام " مطابقته لما يقتضيه حال الخِطاب، مع فصاحة ألفاظه مفردِها ومركَّبِها . والكلام البليغ: هو الذي يُصوِّره المُتكلِّم بصورة تناسب أحوال المخاطبين. وحال الخطاب- ويسمى بالمقام - وهو الأمر الحامل للمتكلم على أن يُوردَ عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى. والمُقتضَى - ويسمى الاعتبار المُناسب - هو الصورة المخصوصة التي تُوَرَدُ عليها العبارة. فمقتضى الحال كل ما يدعو إليه الأمر الواقع، أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص" ٣٩، " فالحال والمقام متحدان ذاتًا وإنما يختلفان اعتبارًا " ٤٠.

فالألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، فالفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبهَ ذلك، مما لا تَعلُّقَ له بصريح اللفظ ٤١.

ولم تقف أهمية السياق عند البلاغيين عند حد معين، ولم تقتصر على باب دون غيره، بل حكموه في كثير من أبواب البلاغة، فقد استعان به السكاكي(ت٦٢٦هـ) في تعليل قطع العطف، وطي ذكر المسند إليه وإثباته، وأوجز به بيان القصر، فعنده " الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه فهي إذا كان السامع مستحضرًا له عارفًا منك القصد إليه عند ذكر المسند" ٤٢، " وأما الحالة التي تقتضي إثباته فهي أن يكون الخبر عام النسبة على كل مسند إليه، والمراد تخصيصه بمعين كقولك: زيد جاء وعمرو ذهب وخالد في الدار ... أو يذكر احتياطًا في إحضاره في ذهن السامع لقلة الاعتماد بالقرائن أو للتنبيه على غباوة السامع أو لزيادة الإيضاح والتقرير، أو لأن في ذكره تعظيمًا للمذكور، أو إهانة له كما يكون في بعض الأسامي والمقام مقام ذلك، أو يذكر تبركًا به واستلذاذًا له كما يقول الموحد: الله خالق كل شيء ورازق كل حي، أو لأن إصغاء السامع مطلوب فيبسط الكلام افتراضًا بسط موسى إذ قيل له ﴿

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾٤٣ وكان يتم الجواب بمجرد أن يقول عصا، ثم ذكر المسند إليه وزاد فقال:﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾٤٤، و"حاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان،كقولك: زيد شاعر لا منجم، لمن يعتقده شاعرًا ومنجمًا، أو قولك : زيد قائم لا قاعد، لمن يتوهم زيدًا على أحد الوصفين، من غير ترجيح" ٤٥.

وقد استعانوا بدلالة السياق اللغوي لتعليل علة الإيجاز، و إظهار بلاغته . نحو ما جاءوا به في قوله تعالى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾٤٦ فيقول ابن الأثير الكاتب(ت٦٣٧هـ): "اعلم أن في جواب الأمر من هذا الكلام محذوفاً تقديره (فأرسله معهم)، ويدلنا على ذلك ما جاء به بعده من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ﴾.... ففي هذا الكلام حذف واختصار استغني عنه بدلالة الحال عليه، فانظر أيها المتأمل إلى هذه المحذوفات، التي كأنها لم تحذف من الكلام لظهور معناها وبيانه، ودلالة الحال عليه. وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون الحذوف فاعرفها "٤٧.

وإن عملية النظم عندهم قائمة على تخير اللفظ وصحَّة الطبع وجودة السبك؛ وما التخيُّر عندهم إلا نوع من المطابقة بين اللفظ وما يقتضيه السياق، ومما يساعد على هذا الفهم قولهم : " وقد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله – تبارك وتعالى – لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر... وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج" ٤٨.

ومن اللمحات السابقة يتجلى لنا إدراك البلاغيين لمفهوم السياق وعناصره إدراكًا يقترب كثيرًا من الفهم المعاصر له فتنبههم المبكِّر لمشكلة المعنى ولدلالة الحال عليه جعل لهم الصدارة والسبق على العالمين، وقد اتخذوا السياق شريكًا لأكثر أبواب البلاغة وحكموه فيها، فقد اتسع مفهومه عندهم، وهم بذلك أيضًا لم يبتعدوا بفهمهم عن الأصوليين كثيرًا .

- السياق عند اللغويين

لقد تنبه اللغويون منذ الوهلة الأولى لطبيعة اللغة الاجتماعية والتواصلية فجاء حدُّها عند ابن جني(ت٣٩٢هـ): " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ٤٩ موافقًا لهذا المفهوم الاجتماعي التواصلي الذي يولي مضمونه المتكلمَ، والمخاطب، والمقام، والسياق عامة منزلة خاصة .

"ولا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي، وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير وغير ذلك مما درسه يعرف بعلم المعاني إذ يدرس أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل، والقصر، والفصل والوصل، والخبر والإنشاء، والإيجاز والإطناب والمساواة، ولا يُنكر أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها " ٥٠.

وممَّن أصَّلوا لدرس السياق ابن جني، فيقول : "والذي يدل على أنهم قد أحسوا ما أحسسنا، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان :أحدهما حاضر معنا، والآخر غائب عنّا إلا أنه مع أدنى تأمل في حكم الحاضر معنا؛ فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها، وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها : من استخفافها شيئًا أو استثقاله، وتقبله أو إنكاره، والأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما في النفوس؛ ألاترى إلى قوله:

تقول- وصكَّتْ وجهَها بيمينها -
أبعلِيَ هذا بالرحى المتقاعسُ!

فلو قال حاكيًا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس- من غير أن يذكر صك الوجه- لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لما حكى الحال فقال : (وصكت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنتَ بها أعرف "٥١.

"فـ(المعنى القاموسي) أو (المعنى المعجمي) ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام، فثمة عناصر (غير لغوية) ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام " ٥٢.

وكذلك لم يهملوا دلالة التنغيم، والنبر السياقي في تجلية المعنى وتوضيحه، ومن المفاهيم الجديدة للنبر، التي اعتمدت على دلالتي المقام، والنظم نبر الأحرف الهوامل؛ فيرى الدكتور زكريا الفقي "

أنَّ زيادة الهوامل في الكلام إنما هي نبر للموضع يُؤثِرُه المتكلم بعنايته؛ جهرًا منه بخصوصيَّته، لا ركوبًا لضرورة نزلت بساحته" ٥٣.

كاللام الأولى في (لَبَعْد) في قول الشاعر :

ولو أنَّ قَوْمي لَمْ يكونوا أَعِزَّة
لَبَعْدُ لَقَدْ لاقيتُ لا بدَّ مَصْرَعا

وهي عند ابن جني (ت٣٩٢هـ) زائدة مؤكدة، والتي في لقد هي الجواب ٥٤.

ومثله قول أبي الجراح: (إنِّي لَبِحَمْدِ اللهِ لَصالِحٌ)٥٥، أو كمن تجاسر وجمع اللامين في قول القائل :

لـئِنْ قومٌ أصـابُـوا غِرَّةً
وأَصَبْنا من زمانٍ رَقَفَا
لَلَقَدْ كانوا لَدَى أزماننَا
لصَنِيعين لبَـأْسٍ وتُـقى

ويقول الدكتور زكريا الفقي فيها : " وأمَّا (إنِّي لَبِحَمْدِ اللهِ لَصالِحٌ) ففيه أنه المَعنيُّ بالصلاح الذي وفقه الله إليه، المقبل على الإخبار به، حمدًا لربه عليه، ولذا آثر الرجل أن يأتي باللام تمكينًا لمراده وتوكيدًا . لكنه رآها – بعدُ- غير واقعة به على طَلِبَته من التوكيد، فإذا هو يزيد الكلام لامًا أخرى! فلمَّا تجشَّم التكرار، مع تكارهه إياه، خصَّ بالمزحلقة محلَّها المعهود، ولم يشأ أن يورد عليه اللامين جميعًا – كصنيع من تجاسر فجمع بينهما في قوله: (لقد كانوا) – فرضى بإلقائها قبلُ ؛ لتكون هذه مجاورة لتلك، وكأنه جعل ما تكلَّفه من التكرار عنوانًا لقوة ما أراد من معنى التوكيد . ولم يكن ليصحَّ له ما يريد، لولا هذا الحرف المزيد . وما ذلك من الصواب ببعيد" ٥٦.

وكـ (ما)،و (لا) الزائدتين٥٧ في مثل قوله تعالى :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾٥٨، و ﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّهِ ﴾٥٩.

وكذلك (بَسَنٌ)٦٠ في قولهم : (هذا حَسَنٌ بَسَنٌ)، أو (نَطْشان) في قولهم:(عَطْشان نَطْشان)، أو (لَيْطانٌ) في قولهم :(شَيطانٌ لَيْطانٌ) والمعروف باسم الإتْبَاع، وعمود أمره عنده" أن تكون ثوانيه وثوالثه مؤكدة لصيغ أوائله وأمثلتها ؛ إشباعا لجارحة السمع من أوزانها، وذلك باستبقاء مكثها فيها، بتكرار مبانيها، دونما نظر إلى معانيها" ٦١.

وما ذهب إليه في الإتباع لم يكُ بِدعًا؛ لكن تبعًا لقول العربي الذي هو الحكم الترضى حكومته ؛ ففي المنصف " سأل ابن الأعرابي بعضهم عن قولهم : (شَيطانٌ لَيْطانٌ) ما معنى (لَيْطانٌ)؟ فقال: شيء نَتِدُ به كلامنا" ٦٢ أي نؤكد به كلامنا ونوثق معناه، وحسبنا إقرار ابن جني لكلام العربي، وقد أتبعه بقوله: "فهذا تصريح منهم بالغرض المطلوب" ٦٣.

فهذا الذي سبق وغيره علَّته عند الدكتور زكريا الفقي "طلب الارتكاز على الموضع من العبارة يُعنى به المتكلم، فيُؤثِرُه على سواه؛ لغرض في نفسه يراه " ٦٤.

والمتأمل يرى في تحليلاته لهذه الظاهرة – النَّبر الدَّلاليّ- اعتمادًا كبيرًا على السياق اللغوي وسياق الموقف؛ فقد حظيت دوافع المتكلم وقوة تأثيرها على المخاطب بعناية كبيرة عنده من جهة، ومن جهة أخرى اعتمد على السياق اللغوي أساسًا يبدأ به تحليله، ويستخلص منه ما يؤكِّد به مدى موافقته للمقام .

والخلاصة أنه "متى بُني على ظاهر اللفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد" ٦٥؛ وموجب المعنى قد تلمَّسوه في كل سبيل، وبكل وسيلة تعينهم عليه؛ ومن هذه السبل، وتلك الوسائل السياق بشقيه اللغوي والموقف، والمعروف عندهم بالقرائن الحالية، والقرائن اللفظية، وهذا يدلُّ على أن النحويين لم ينظروا إلى اللغة، وإلى قواعدها بهذا الجمود الذي نسب إليهم.

• نظرية السياق

" إن جزم سوسير بأن حقيقة اللغة كامنة في ذاتها أكثر مما هي كامنة في تاريخها يعدُّ إعلانًا عن قطيعة معرفية سوف يتجاوز أثرها حدود العلوم اللغوية إلى مجال العلوم الإنسانية الأخرى " ٦٦.

"ومما تجدر الإشارة إليه أن دي سوسير صاحب فكرة تمييز (الدراسة الوصفية) للغة من (الدراسة التاريخية) ... فحرص على وجوب التفريق بين دراسة المعنى دراسة (وصفية) (ثابتة) أي في مرحلة معينة، أو (حالة) معينة تجرد من تاريخ لغة من اللغات، وتدرس بغض النظر عما قبلها وعما بعدها من (مراحل) أو (حالات)، ودراسة المعنى دراسة (تطورية)" ٦٧.

"وقد وضح دي سوسير العلاقة بين اللسانيات الآنية والزمانية باستعمال لعبة الشطرنج كمثال حي، حيث إن ما يهمنا في هذه اللعبة ليس نشأتها أو تاريخها ...، بل ما يهمنا فعلًا هو تموضع البيادق في اللحظة الحالية وعلاقتها بعضها ببعض حيث ترتبط قيمة البيدق بموقعه على الرقعة، وكذلك الحال بالنسبة للُّغة، إذ تستمد كل مفردة قيمتها من خلال مقابلتها مع باقي المفردات الأخرى " ٦٨.

ويصطنع دي سوسير (ثالوثًا) خاصًا يتضمن تصورات ثلاثة متكاملة يعبر عنها بهذه المصطلحات :

Le Langage)، La Langue، La Parole) وفهم هذه التصورات أمر أساسي أولي لفهم نظرية دي سوسير في اللغة.

١- إن ما يسميه دي سوسير (Le Langage) اللغة : هو اللغة في أوسع معانيها، أي اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة.

٢- أما ما يدعوه (La Langue) اللغة المعينة: أي العربية أو الإنجليزية إلخ...، فهو يضمُّ نظام المفردات، والنحو، واللغة عنده مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد، بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين.

" ٣- أما التصور الثالث الذي يعبر عنه دي سوسير بكلمة (La Parole) الكلام فيعني به إظهار الفرد لـ La Langu اللغة المعينة وتحقيقه إياها عن طريق الأصوات الملفوظة، أو عن طريق العلامات المكتوبة. وما يدعوه دي سوسير (La Parole) الكلام (فردي). هو واقع تحت سيطرة الفرد" ٦٩.

"ويفرق دي سوسير بين ما يسميه (القيمة اللغوية) للكلمة وبين ما يسميه (المقصود) من الكلمة ... فإن معنى كلمة من الكلمات عنده هو ارتباط متبادل أو (علاقة متبادلة) بين الكلمة، أو (الاسم) وهي (الصورة السمعية) وبين الفكرة، فإنَّ الكلمة (علامة لغوية)، ونحن عندما نفرق تفريقًا أساسيًا بين فكرتين فنحن نستعمل لذلك، (علامتين لغويتين) مختلفتين، فالتفكير، دون كلمات (عائم)، فـ(العلامة اللغوية) لا تخلق وحدة بين اسم ومسمى، ولكن بين فكرة وصورة سمعية. و(المقصود) يقابل(الرمز) أو (العلامة)، والعلامة من ناحية أخرى تقابل سائر العلامات الموجودة في اللغة موضوع الدرس، و(قيمة) كل رمز أو علامة تتوقف على وجود سائر الرموز" ٧٠.

" وعلى النقيض من النحو التوليدي، ولكن في اتفاق مع الوصفيين الأمريكيين يدور الأمر حول نظرية السياق اللغوي – عند فيرث– ليس على النظام المجرد للغة (اللسان،والكفاءة)، بل على الاستخدام المحدَّد (الكلام، الأداء) وفي ذلك يرى في المفهوم المركزي للسياق جانبان، فهو يعني تارة سياق الموقف، ويعني تارة أخرى السياق اللغوي" ٧١.

وقد اعتمد فيرث الإنجليزي في نظريته الدلالية اعتمادًا كبيرًا على آراء برونسلاو مالينوفسكي العالم الأنثروبولوجي البولندي٧٢.

"ولقد وصل مالينوفسكي إلى أن اللغة ليست كما يرى التعريف التقليدي وسيلة من وسائل توصيل الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها، أو نقلها.. فمثل هذا لا يعدو أن يكون وظيفة واحدة من وظائف اللغة، ورأى أن اللغة كما يمارسها المتكلمون في أي جماعة من الجماعات إنما هي نوع من السلوك، ضرب من العمل، إنها تؤدي وظائف كثيرة غير التوصيل" ٧٣.

"وقد قام فيرث في تحليله اللغوي بإرساء مجموعتين رئيستين من العلاقات، تنقسم كل مجموعة منهما إلى قسمين: العلاقات الداخلية أوالشكلية، والعلاقات الموقفية.

١- العلاقات الداخلية أو الشكلية المتعلقة بالنص

Internal / Formal relations

أ- العلاقات الركنية (Syntagmatic relation): وتتمثل في العلاقات الموجودة بين عناصر البنية (Structure) على مستويات مختلفة منها : النحوية والصوتية، وذلك كالعلاقة بين مفردة شكلية وأخرى في جملة ما، أو في تتابع معين (Collocation)، أو العلاقات التركيبية بين الوحدات النحوية، أو العلاقات بين الوحدات الفونولوجية .

ب- العلاقات الاستبدالية للمفردات ضمن الأنظمة (Systems)؛ حيث تمثل كل مفردة عنصرًا معينا من البنية، ويمثل النظام مجموعة المفردات التي نختار منها أية مفردة .

٢- العلاقات الموقفية (Situational relations)؛ وتغطي شبكتين مختلفتين من العلاقات :

أ- جميع العلاقات الموجودة ضمن سياق الموقف .

ب- العلاقات القائمة بين أجزاء النص ومظاهر الموقف، وهي علاقات بين مفردات اللغة ومكونات الموقف غير اللفظية، وبما أن وحدات اللغة تدخل في كلا النوعي من العلاقات، فإنها تكتسب معاني شكلية وموقفية " ٧٤.

" فالمعنى عند فيرث كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية، والنحوية، والقاموسية، والوظيفية الدلالية لـ(سياق الحال). ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها الذي يراعى عند دراستها ...، ومما تجدر ملاحظته أن التحليلات اللغوية كلها على المستويات المختلفة ليست المعنى ولا هي دراسة المعنى. فلا بد للوصول إلى المعنى من الربط بين النتائج التي توصل إليها هذه التحليلات جميعًا ربطًا يدخل في اعتباره سائر عناصر (سياق الحال)" ٧٥.

وحسب فيرث فإن هناك عدة سياقات موزعة ضمن تسلسل هرمي مضبوط، ويُبين ذلك في الشكل التالي :

فإن التقنية التي رسمها هنا هي عبارة عن تحليل تجريبي عوض تحليل نظري للمعنى. ويمكن وصفها كسلسلة من الإجراءات لوضع الظواهر في سياقات؛ سياق في سياق، وكل سياق عبارة عن وظيفة، أو عضو في سياق أكبر، وتجد كل السياقات مكانًا لها فيما يسمى بسياق الثقافة " ٧٦.

والحقيقة أنَّ الأسس النظرية التي استمدها دي سوسير من دوركايم، وتلك التي استمدها فيرث من مالينوفسكي، قد تقدم تفسيرًا مقبولًا للغة، ولكنها من جانب آخر تفتقد إلى كثير من الدراسات التطبيقية .

وإن غلوَّ فيرث في دراسة اللغة بوصفها جزءًا من المسار الاجتماعي؛ أي كشكل من أشكال الحياة الإنسانية، وليس كمجموعة من العلامات التي تَعتَبِرُ دور المكون الاجتماعي، وأثره في البناء اللغوي يجعل اللغة فرعًا من فروع علم النفس، أوعلم الاجتماع، أو الانثروبولوجيا، مما يخالف طبيعتها، ولا يمكنني التسليم عامة بكل ما جاء في النظرية البنيوية؛ فالوصف اللغوي لا يتوقف عند ظاهر السطح، وإنما يسعى إلى فهم قواعد العمق، وكذلك فإن وظيفة اللغة عند فيرث يحيط بها كثير من الغموض، فلا يمكنك أن تجـد مفهومًا واضحًا عنده أو عند مالينوفسكي للوظيفة التي تقوم بها، ولقد كـان ابن جني أكثر وضوحًا مـنهما في ذلك عندما جعل وظيفة اللغة التعبير عن الأغراض عامة .

وقد كان علماء العربية أكثر ذكاء؛ فالدرس اللغوي عندهم استطاع بعد نشأته ببضع قرون أن يثب بخطوات سريعة إلى حقائق لم تُعالج في علم اللغة الحديث إلا منذ وقت قصير؛ ففي حين أن الدراسات التطبيقية عند علماء العربية عالجت اللغة من الجانب الوصفي، والجانب المعياري، وفرقت بين اللغة والكلام، وأثارت قضايا مثل معني المعنى، كانت الدراسة اللغوية عند الغربيين - حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين- دراسة تاريخية تدرس اللغة خارج إطارها؛ حيث كانوا يعتبرون اللغات كائنات حية شأنها في ذلك شأن الأجناس البيولوجية؛ فكان يهدف هذا النوع من الدراسة إلى معرفة تاريخ اللغات، والكشف عن العلاقات الموجودة بينها، وإعادة بناء اللغات الأولى المنقرضة.

• دور السياق في تكوين النظام الثابت والأداء المتغير.

"أدرك النحاة أن الخبرة بتراكيب اللغة هي في الوقت ذاته خبرة بالأغراض التي تعبر عنها، أو بعبارة أخرى أدرك النحاة أن هناك ارتباطًا قويًا بين ما يسمى بالمعاني أوالأفكار، فالعلاقة بين الفكر واللغة شغلت من بعض الوجوه النحاة " ٧٧، " وإنَّ دراسة النحو على أساس المعنى- علاوة على كونها ضرورة فوق كل ضرورة - تعطي هذا الموضوع نداوة وطراوة، وتكسبه جدة وطرافة، بخلاف ما هو عليه الآن من جفاف وقسوة " ٧٨.

ولا يصحُّ أن نفهم لفظة الخطأ في كلام النحويين فهمًا جامدًا؛ لأنهم يستخدمونها في كل ما يُجتهد فيه ويحتمل التأويل، فعندهم الخطأ: "ما ليس للإنسان فيه قصد" ٧٩، و " الصواب: خلافه، وهما يستعملان في المجتهدات، وأمّا الحق والباطل فيستعملان في المعتقدات، حتى إذا سئلنا في مذهبنا ومذهب من خالفنا في الفروع، يجب علينا أن نجيب بأن مذهبنا صواب يحتمل الخطأ، ومذهب من خالفنا خطأ يحتمل الصواب، وإذا سئلنا عن معتقدنا ومعتقد من خالفنا من المعتقدات، يجب علينا أن نقول: الحق ما عليه نحن، والباطل ما عليه خصومنا. هكذا نقل عن المشايخ " ٨٠.

والسياق بشقيه (الموقف واللغوي) أو (المقام والنظم) صاحب عمل كبير في تكوين النموذج النحوي العميق، والنموذج النحوي المتغير.

فإن الهدف من اللغة التعبير عن

الأغراض، والوسيلة إلى ذلك الأصوات، وهذا ما ذهب إليه ابن جني في تعريفه : " اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ٨١، ولما كانت الأصوات محدودة والأغراض أو المقامات متعددة، فكان لابدَّ من إيجاد (نظام) يسمح بتوظيف هذه الأصوات للتعبير عن تلك الأغراض غير المحدودة.

وعلى سبيل الافتراض إذا قلنا: إنَّ نشأة نظام العربية كانت بسيطة، تعتمد على بنى صوتية قصيرة تعبر عن أغراض واضحة ومباشرة وغير معقدة، فبالنظر إلي هذه البنى الصوتية سنجد أنها استمدت دلالتها من الموقف الذي دعا إلى خلقها؛ فهذه البنى أو الأصوات في ذاتها اعتباطية، ولن تجد تفسيرًا واضحًا يربطها بدلالتها غير الموقف أو السياق على الأغلب، "وليت شعري، هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني؟ وهل هي إلا خدم لها " ٨٢.

ولاشك في أن نشأة هذه البنى الصوتية المتنامية صاحبها عملية تركيب بسيطة للتعبير عن أغراض ومواقف غير معقدة، ولأنَّ الأغراض غير منتهية فكان لا بدَّ لهذه الممارسات أن تمر بمراحل تطور على مستوى البنية والتركيب في الوقت نفسه لتلبية هذه الأغراض والمواقف، وهذا ما يؤكده النظر في أوزان اللغة العربية التي يؤدي جميعها وظائف حيوية تؤثر في عملية التركيب ودلالتها .

وإنْ كانت هذه الممارسات اللغوية قد نشأت في مجتمع واحد كبير إلا أنَّ جماعات هذا المجتمع تفاوتت وتمايزت في طرق ممارستهم لتلك البنى اللفظية والتراكيب في التعبير عن الموقف الواحد؛ " فكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات" ٨٣ وإنَّ هذه الممارسات إنّ بدت في ظاهرها عشوائية إلا أنها أَثْرَت النظام بحلول مختلفة لتلبية احتياجات المواقف أو الأغراض المتنوعة. وقد أدَّت هذه الممارسات إلى ظهور كثير من الظواهر التي تعلق وجودها بسياق الاستخدام. وبالوصول إلى هذه المرحلة صار النظام يواجه أمرين؛ أولهما: أن يلبي حاجات الأغراض التي ازدادت عمقًا وتعقيدًا، والآخر: أن يجد طرقًا إبداعية لاستخدام هذه الألفاظ التي صارت تحتمل كثيرًا من الدلالات؛ فاتسع النظام، وأقام تركيبه على العلاقات المجازية، ودخله التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والإيجاز والإطناب، والفصل والوصل، والنبر والتنغيم، مما ارتبط درسه عند أهل العربية بالسياق، وقد نتج عن هذا حصيلة ضخمة، وكان من اللازم أن تمرَّ هذه الحصيلة بعمليات انتخاب قبل الإعلان عن اكتمال بنيان النظام، وتمثلت هذه العمليات في اختبارِ ما تثبُت قدمُه عند الاستخدام في السياق، فظهرت للكلمات أنماط ومجالات في عملية التركيب. وكل ذلك ومثله دفعهم إلى التكلم عن الألفاظ ذات الجرس والحسنة التأليف، كما تكلموا عن جزالة العبارة وسلاسة الأسلوب وحسن الديباجة وقوة السبك وعن الماء والرونق٨٤ ليصفوا سياق كلامهم و الحال التي عليها علاقات الألفاظ داخله .

فإن العمل الفني الذي يخلقه التركيب النحوي، والجمال الذي يؤديه لا فائدة من النظر فيه إذا كان منقطعًا عن سياقه، لأن هذا العمل قام لسد حاجات السياق، فالسياق هو الخصم الأول في عملية الإبداع وعملية التحليل؛ فإن القيمة الفنية التي يخلقها التركيب النحوي تتحدد بأمرين؛ أولهما: ما يتميز به سياق نظمه من سلاسة الأسلوب وحسن الديباجة وقوة السبك كما قالت العرب، والآخر: مدى موافقة هذا النظم أو التأليف لمقتضى الحال. " فليس الفضل للعلم بأن (الواو) للجمع، و(الفاء) للتعقيب بغير تراخ، و(ثم) له بشرط التراخي...،

ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت شعرًا وألفت رسالة أن تحسن التخير، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه" ٨٥.

وعندهم "بأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع" ٨٦، وتوسعهم هذا أدَّى بهم إلى حقيقة أن الألفاظ وحدها لاتبين، ولا بد لها من معين في الكشف عن المعنى؛ "فجمعوا الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ" ٨٧، وهو ما يدخل الآن تحت سياق الموقف و السياق اللغوي .

• بعض الأسس التنظيرية السياقية، في مغني اللبيب لابن هشام وما يتصل بها من ممارسات تطبيقية.

إن المرحلة التي بدأها ابن هشام (ت٧٦١هـ) بتأليفه (مغني اللبيب) جديرة بأن نقف عليها، متأمِّلين ما تجسِّده من إرهاصات تنظيرية تعلن عن استيعاب كامل لكل ما سبقها من جهود بلا تحيُّز لمدرسة دون أخرى، أو محاباة لرأي على حساب آخر. وعلى الرغم من تقدير العلماء لما قدمه ابن هشام في كتبه، وعلى رأسها (مغني اللبيب)، فإنه لم يُكتَب لهذا الجهد المتبلور أن يُتَّخذَ أساسًا يُشيَّد عليه

هيكل تنظيري يعكس طورًا جديدًا لمرحلة من مراحل التأليف في النحو العربي؛ ولو قُدِّر للتأليف في هذه المرحلة التي شرع فيها ابن هشام أن يُستأنَف لاجتمع للعربية نظرية دلالية أصيلة تتوِّج جهود علمائها .

وقد استطاع ابن هشام من خلال مجموعة من الممارسات التطبيقية والأسس التنظيرية التي أودعها في مغني اللبيب أن يضع هيكلًا يصف ويفسِّر الطريقة التي مارست بها العرب لغتها، وكان في عمله هذا على قدر كبير من الوضوح، والدقة. وقد تجلى من هذه الممارسات التطبيقية، وتلك الأسس التنظيرية مدى أهمية السياق في تحليلاته النحوية.

لم ينظر ابن هشام إلى اللغة في تحليلاته وأقيسته النحوية نظرة ضيقة بمعزل عن سياقها، لكنه علم أن كل بناء نصيٍّ هو نظم يُفهم معناه من خلال النظر إلى أمرين؛ أولهما: مجموع السياقات اللغوية العامة؛ أي النصوص الأصلية التي أقام عليها علماء العربية أقيستهم وتكونت منها العادات اللغوية، والآخر: مجموع السياقات الخاصة التي تصاحب كل نظم، وهذه السياقات الخاصة هي التي تعطي للنظم معناه الدقيق، وفي ضوء تلك السياقات العامة، والسياقات الخاصة يحدِّد الغرض الذي من أجله سيق الكلام.

وإن كانت عملية النظم قائمة في أساسها على شيء من الصناعة ؛ فإنها صناعة فنية تتيح لكل قائم عليها مساحة من الإبداع والإحلال والتوليد، فيمكن لكل متكلم بذلك أن يضفي على اللغة من صبغته بما يتناسب مع المعنى والغرض الذي من أجله سيق كلامه؛ فالمعنى والغرض هما المقصودان من تلك الصناعة، وإنَّ ممَّا يخطئ فيه المُعرِب: " أن يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى، وكثيراً ما تزل الأقدام بسبب ذلك، وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه، مفرداً أو مركباً "٨٨؛ فأما فهم ما نُعرِبه مفرداً فبابه المعجم الذي مهمته تسجيل المعاني الذائعة التي ثبتت من السياقات العامة للغة، وأما فهم ما نُعربه مركباً فبابه السياقات الخاصة المتمثلة في سياق النظم، وسياق المقام معتبرين ما أثبتته السياقات العامة للغة .

فيقول ابن هشام : " سألني أبو حيان - وقد عرض اجتماعُنا - علام عطف (بحقلَّد) من قول زهير :

تقيٍّ نَقيٍّ لمْ يُكَثِّرْ غَنيمةً
بنهْكَةِ ذي قُرْبَى ولا بحَقَلَّد

فقلت: حتى أعرف ما الحقلد، فنظرناه فاذا هو سيئ الخلق، فقلت : هو معطوف على شيء متوهم؛ إذ المعنى ليس بمكثر غنيمة، فاستعظم ذلك" ٨٩.

وقد يكون للكلمة معنى ما عُرِفت به، ولكنَّ سياقها الخاص قد يخرجها من هذا المعنى إلى غيره، فيقول في (لا) : " فإن كان ما بعدها جملة اسمية صدرها معرفة أو نكرة ولم تعمل فيها، أوفعلاً ماضياً لفظاً وتقديراً وجب تكرارها، فمثال المعرفة ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾٩٠، وإنما لم تكرر في (لا نَوْلُكَ أَنْ تَفْعَلَ) لأنه بمعنى لا ينبغي لك، فحملوه على ما هو بمعناه" ٩١. فقد جعل التركيب (نَولُك) بمعنى الفعل (لا ينبغي لك)، فلزمت (لا) حكم عدم التكرار، لدخولها على ما يشبه في معناه المضارع.

فليست قضية المُثُل النحوية ما يشغل بال ابن هشام، وإنما يشغل باله القدرات والطاقات التي يؤديها السياق؛ لأنه يخلق لعناصر التركيب مجموعة من الدلالات والمعاني الخاصة التي قد تختلف عن أصل الوضع.

فبالنظر إلى السياقات العامة للغة، والسياقات الخاصة التي أحيطت بنظم ما، يتجلى ما يحيط بعناصر النظم منْ دلالات خاصة " فقد تأتي (عن) مرادفة لـ(من) نحو ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾٩٢ الشاهد في الأولى،و﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ ٩٣ بدليل﴿ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾٩٤﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾٩٥ " ٩٦.

"فصور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ، حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشار بمعانيها إلى معان أخر. واعلم أن هذا كذلك ما دام النظم واحدًا، فأما إذا تغير النظم فلا بد حينئذ من أن يتغير المعنى" ٩٧.

وكان ابن هشام دائماً مولياً وجهه نحو سياقات اللغة العامة؛ لأنها تمثل تلك التقاليد اللغوية الضرورية التي تبناها المجتمع العربي، مستنبطاً منها سننهم في التعبير، رافضًا كل ما يشذ عنها بغير علَّة أو دليل.

ومن ذلك رفضه قول بعضهم في ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾٩٨ : إن الأصل وما لنا وأن لا نقاتل،أي مالنا وترك القتال، كما تقول (مالك وزيداً)، وسبب رفضه؛ لأنه لم يثبت في العربية حذف واو المفعول معه ٩٩.

ولم ينحصر مفهوم السياق عند ابن

هشام في الجملة أو الجمل محل التحليل، وإنما تتسع عنده دائرة السياق لتشمل كل ما يمكن أن يمثل سنداً، ودليلاً، ومنه " قول بعضهم في ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾١٠٠: إن اسم الله سبحانه وتعالى مبتدأ، أو فاعل؛ أي الله خلقهم أوخلقهم الله، والصواب الحمل على الثاني بدليل ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾١٠١ " ١٠٢.

وقد سلك ابن هشام في تحليلاته مسلكًا دقيقًا جعله يفرق بين اللغة الممثلة في المعايير والقواعد المتفق عليها اجتماعيًا، والكلام الذي عَمَلُه داخل حدودها، وفي إطارها، فالإنتاج اللغوي لشخص ما، أو في فن من الفنون القولية، يأتي على طريقة مخصوصة، مشكلاً سلوكاً لغوياً خاصاً، يعمل تحت المعايير المتفق عليها، وفي إطار حدودها. ولذلك فإن العمل على تحليل هذه السياقات يتطلب مراعاة لهذا السلوك اللغوي الخاص، وتلك الطرق المخصوصة.

فمما يُعتَرض به على المعرب عنده " ألا يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب، ولذلك أنواع " ١٠٣، ومنها " تجويزهم في الشعر ما لا يجوز في النثر " ١٠٤. ومن ذلك أن (أل) الزائدة نوعان: لازمة، وغير لازمة. فأما غير اللازمة فواقعة في الشعر، وواقعة في شذوذ من النثر ١٠٥. فالشعر أو النثر فن قولي يعبر عن أغراضه على طرق مخصوصة، وعند تحليل سياقاته يجب مراعاة ذلك السلوك الخاص.

وإنه لمن البيِّن أنَّ العلاقة بين طرق التراكيب والسياقات التي تُستخدم فيها عند ابن هشام، تشبه العلاقة بين سلوك الفرد وما يخوض فيه من تجارب تكوِّن سلوكه، ومثل هذا معتبر في التحليل؛ فإن التراكيب هي الأخرى قد تسلك في سياقات استخدامها مسلكاً مخصوصاً، قد تولَّدت قوته من خلال ما خاضته هذه التراكيب في سياقات مماثلة أو مشابهة، أو من خلال ما خاضته تراكيب اللغة عامة من مغامرات تشجع وتدعم ذلك المسلك وهذا السبيل؛ مما يكسب التراكيب الشجاعة. وقد كثر هذا حتى صار سمة للغة، فألَّف ابن جني باباً في شجاعة العربية؛ يقول فيه: " اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف" ١٠٦ .

وعند ابن هشام " إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلاً والباقي فاعلاً، وكونه مبتدأ والباقي خبراً، فالثاني أولى؛ لأن المبتدأ عين الخبر؛ فالمحذوف عين الثابت؛ فيكون الحذف كَلَا حذف، فأما الفعل فإنه غيرُ الفاعل. اللهم إلا أن يعتضد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع، أو بموضع آخر يشبهه، أو بموضع آت على طريقته" ١٠٧.

ولم يغفل ابن هشام عن دور النغمة الصوتية، أونبر السياق في تحليلاته، " فالنغمة الصوتية ذات دلالة على المعنى فالجملة الواحدة قد يختلف معناها باختلاف النغمة " ١٠٨.

ومن ذلك "ما حكاه بعضهم من أنه سمع شيخًا يعرب لتلميذه (قيمًا) من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا × قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ ١٠٩ صفة لـ(عوجًا) قال فقلت له: يا هذا كيف يكون العوج قيمًا! وترحمت على من وقف من القراء على ألف التنوين في (عوجًا) وقفة لطيفة (دفعًا) لهذا التوهم. وإنما (قيمًا) حال إما من اسم محذوف هو وعامله؛ أي أنزله قيمًا، وإما من الكتاب، وجملة النفي معطوفة على الأول، ومعترضة على الثاني " ١١٠.

والمتأمل في تحليلات ابن هشام يجد أنَّ قيمة العلامة الإعرابية تظهر مع كل مغامرة يخوضها التركيب، وانحراف عن الأصل المعروف في طرق التعبير، فالعلامة الإعرابية دعامة من دعائم الصناعة النحوية، وعامل من عوامل حصر المعنى، ولكنَّ تجلية المعنى على الوجه المطلوب، والسمت القويم، يكمله النظر في سياق الكلام.

إنَّ العمل الحقيقي الذي يقوم به النحو، والذي ينبغي لنا أن نتعلَّمه مجموع القدرات التي يمد بها المتكلمَ للتعبير عن أغراضه بالشكل المناسب لما يقتضيه مقامها. وتحليل النظم منقطعاً عن مقامه، وعن الغرض الذي من أجله أقيم تركيبه، يجعل الحديث عن قيمته خَرَفاً، ودرباً من اللهو لا يدل على تَعَقُّل قائله، ولا يبعث سامعه إلا على التأفف والملل، وقد فسرت ممارسات ابن هشام طبيعةَ العلاقة التأثيرية التبادلية التي تجمع المقام بنظمه، مبرهناً بتلك التطبيقات على إدراكه لوظيفة اللغة الاجتماعية والثقافية، فاستطاع تجلية الناحية الإبداعية للنحو من خلال الكشف عن القدرات التي يمكنه أن يزود النظم بها، لسدِّ حاجة المقام، كما استطاع أن يفسر بعض الظواهر التركيبية بردِّها إلى سياق مقامها .

فتخرج الهمزة عن الاستفهام، وترد لثمانية معان، يدلل عليها بالمقام؛ فتخرج الهمزة عنده إلى "الإنكار الإبطالي، وهذه تقتضي أن ما بعدها غير واقع، وأن

مدعيه كاذب، نحو ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴾١١١﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ ١١٢ ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾١١٣ " ١١٤. فإن إصفاءهم بالبنين لا يقول به عاقل، ولا يدعيه إلا كاذب، فليس على زعمهم من دليل، فلما كان هذا مما يُحجِم عن قوله ذوو العقول، ويأنفه أصحاب الإيمان، تأكَّد لك أن الاستفهام ليس على حقيقته، وإنما سِيقَ لإنكار زعمهم، وإبطال كذبهم .

وتخرج الهمزة إلى "الإنكار التوبيخي، فيقتضي أن ما بعدها واقع، وأن فاعله ملوم، نحو ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾١١٥ و﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾١١٦، وقول العَجَّاج :

أَطَرَبًا وَأَنْتَ قِنَّسْرِيُّ

والدَّهْرُ بالإنسَانِ دَوَارِيُّ

أي أتطرب وأنت شيخ كبير؟ " ١١٧.

فلما كانت عبادتهم لغير الله واقعة، وكان طرب الشيخ كذلك واقعاً، وكان فعلهم هذا مما لا يخفى قبحه على المخاطَب، فلا يمكن أن يكون السؤال في أي منها لطلب التصديق، وإنما المقام مقام توبيخ، فهذا ما استوجبه فعلهم القبيح .

وفي قوله تعالى ﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا ﴾١١٨ "محتمل لإرادة الاستفهام الحقيقي، بأن يكونوا لم يعلموا أنه الفاعل، ولإرادة التقرير، بأن يكونوا قد علموا، ولا يكون استفهاماً عن الفعل ولا تقريرًا به، لأن الهمزة لم تدخل عليه، ولأنه عليه الصلاة والسلام قد أجابهم بالفاعل بقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾١١٩ " ١٢٠ .

فمع تغير المعطيات التي يقدمها المقام تتغير دلالة الهمزة؛ فإن كانوا لا يعلمون الفاعل، فالهمزة لإرادة الاستفهام الحقيقي، وإن كانوا يعلمون أنه الفاعل، فهي لإرادة التقرير. ولا يكون استفهاماً عن الفعل أو تقريراً به؛ لأن هذا مما يخالفة نظم الكلام، وأشارت إلى غيره القرائن اللفظية، لأنه (ص) قد أجابهم بالفاعل.

فهذا، ومثله يُمكِّنك من معناه المقام، فهو من علل أحكامهم، وعلي مثل ما سلف قامت كثير من أقيستهم. فإن كنتَ ممَّا قلتُ في ارتياب، ونزل كلامي منك على غير ثبات، فهذا السكاكي (ت٦٢٦هـ) يؤكِّد ما قد سلف، ولعل مقالته تجعل الريبة منك برهاناً، والاضطراب اطمئناناً، فيقول: " واعلم أنَّ هذه الكلمات (كلمات الاستفهام) كثيراً ما يتولد منها أمثال ما سبق من المعاني بمعونة قرائن الأحوال" ١٢١.

وعند الأصوليين " الاستفهام، لفظُه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة؛ فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه" ١٢٢.

وإن دراسة اللغة مجردة عن محتواها الثقافي،كمن يدرس رموزاً بلا دلالات، ويسير في طريق بلا إرشادات، وهذا مما اهتدى به ابن هشام في تحليلاته، فيقول في قوله تعالى:﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾١٢٣.

"وأما (ما) الثانية فموصول اسمي أو حرفي، أي والذي كسبه، أو وكسبه، وقد يضعف الاسمي بأنه إذا قُدِّر والذي كسبه لزم التكرار لتقدم ذكر المال، ويجاب بأنه يجوز أن يراد به الوَلَدُ؛ ففي الحديث (أَحَقُّ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَه مِنْ كَسْبِه) ١٢٤، والآية حينئذ نظير ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴾ ١٢٥ " ١٢٦.

فـ(ما) الثانية قد يراد بها الولد، وهذا مما دعا إليه مفهوم ثقافة الكسب عندهم، فالكشف عن دلالة التركيب قد يتطلب منك أكثر من مجرد النظر في حدوده التي بدت لك، وإن عوَّلت في ذلك على معجم لعدت صفر اليدين لم ترو غليلك قطرة .

وعندهم دليل الحذف نوعان؛ أحدهما: غير صناعي، وينقسم إلى حالي ومقالي، والدليل الحاليكقولك لمن رَفَعَ سَوطًا (زَيْداً) بإضمار اضرب ١٢٧.

وكذلك فإن مقام المخاطب أومقام المتكلم، وقدر معرفتهما مما يعتبرونه في تحليلاتهم، ففي " قوله تعالى ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ ﴾١٢٨ أي وليخش الذين إن شارفوا وقاربوا أن يتركوا، وإنما أوَّلنا الترك بمشارفة الترك لأن الخطاب للأوصياء " ١٢٩، ويجوز عند أمن اللبس أن يجاب بما يجاب به الإيجاب رعيًا لمعناه. وأمن اللبس أمر يقدره المتكلم تبعًا للمقام الذي عليه المخاطب، وعلى ذلك قول الأنصار للنبي (ص) وقد قال لهم : ألستم ترون لهم ذلك – نعم ١٣٠.

وكذلك تتبع ابن هشام المعنى الذي يفرضه سياق الرسم والكتابة، فمما يدخل الاعتراض على المعرب من جهته " أن يحمل المعرب على شيء، وفي ذلك الموضع ما يدفعه" ١٣١ " كقول

بعضهم في ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ ١٣٢: إنها إن واسمها، أي إن القصة، وذان: مبتدأ، وهذا يدفعه رسم إن منفصلة، وهذان متصلة " ١٣٣.

لقد جاءت ممارسات ابن هشام التحليلية مؤكدة عمق فهمه، وحَصَافَة رأيه، وصفاء ذهنه، ودلَّت على درايته بقيمة السياق وكُنهه، وإحاطته بوظيفته في الكشف عن دلالات النص ومعانيه، فهذا ما قد أسفرت عنه تطبيقاته، وباحت به ممارساته التي اجتبيت منها إلماعة، وانْتَخَلْتُ بَيِّنَةً .

الهوامش :

(١) البيان في روائع القرآن: ص ٢٢١، ٢٢٢.
(٢) البحث الدلالي عند الأصوليين:ص ٢٨.
(٣) اللغة والمعنى والسياق:ص٢٤٠ –٢٤٢.
(٤) قرينة السياق : ص٣٧٥ .
(٥) دلائل الإعجاز : ص ٤٠٧.
(٦) معجم علم الأصوات: ص ٨٠ .
(٧) اللغة العربية معناها ومبناها : ص ٣٧٣.
(٨) الأدلة الاستئناسية: ص ٢١٨.
(٩) الموافقات في أصول الشريعة: ٣/ ١٥٣.
(١٠) ٤٦/ الدخان.
(١١) بدائع الفوائد : ٤/ ١٣١٤.
(١٢) إحكام الأحكام :١/ ٣٦٦.
(١٣) السابق : ٢/ ٢٣٢.
(١٤) الرسالة : ص ٥٢.
(١٥) كشف الأسرار : ٢/ ٩٥.
(١٦) ٢٩/ الكهف .
(١٧) كشف الأسرار : ٢/ ١٠١.
(١٨) كشف الأسرار : ٢/ ٦٦.
(١٩) الموافقات : ٣/ ٢٧٧.
(٢٠) ٥٠/ الأحزاب .
(٢١) ٥٠/ الأحزاب .
(٢٢) الآية نفسها.
(٢٣) كشف الأسرار :٢/ ٦٦، ٦٧.
(٢٤) ٨/ الحشر .
(٢٥) كشف الأسرار :١/ ٦٧-٦٩ .
(٢٦) السابق : ١/ ٦٧، ٦٨ .
(٢٧) الموافقات: ٣/ ٢٧٠، ٢٦٩.
(٢٨) الموافقات: ٣/ ٢٧٤، ٢٧٥.
(٢٩) ٨٢ / الأنعام .

(٣٠) ١٣ / لقمان .

(٣١) الموافقات: ٢٧٣/٣ .

(٣٢) الموافقات: ٣/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٣٣) البرهان في أصول الفقه : ١/ ٢١٩.

(٣٤) الموافقات: ٣٤٧/٣.

(٣٥) اللغة العربية معناها ومبناها: ص٣٣٧.

(٣٦) اللغة العربية معناها ومبناها: ص٣٣٧.

(٣٧) البيان والتبيين: ١١٦/١.

(٣٨) حاشية الدسوقي: ١/ ٨٢، ٨٣ .

(٣٩) انظر جواهر البلاغة : ص ٣٠.

(٤٠) حاشية الدسوقي : ١/ ١٣٣ .

(٤١) دلائل الإعجاز : ص٤٦.

(٤٢) مفتاح العلوم: ص ١٧٦.

(٤٣) ١٧ / طه .

(٤٤) ١٨ / طه .

(٤٥) مفتاح العلوم: ص ٢٨٨.

(٤٦) ١١- ١٥ / يوسف .

(٤٧) الجامع الكبير: ص ١٢٩، ١٣٠.

(٤٨) البيان والتبيين : ١/ ٤١.

(٤٩) الخصائص : ١/ ٣٣ .

(٥٠) النحو والدلالة : ص ١١٣.

(٥١) الخصائص : ١/ ٢٤٦، ٢٤٧.

(٥٢) مقدمة للقارئ العربي : ص ٢٦٣.

(٥٣) زيادة الأحرف الهوامل: ص ٢٧٦.

(٥٤) انظر سر صناعة الإعراب: ٢ / ٧١، وانظر أيضًا الأحرف الهوامل :ص ٢٥٨.

(٥٥) انظر معاني القرآن : ٢ /٣٠، والأحرف الهوامل : ص ٢٥٨،٢٥٩.

(٥٦) الأحرف الهوامل : ص ٢٥٩.

(٥٧) وقد أطلق عليها الدكتور زكريا الفقي (النبر الناطق الحرفي المغاير)، انظر الأحرف الهوامل ص ٢١٣- ٢١٦.

(٥٨) ١٥٩ / آل عمران .

(٥٩) ٢٩ / الحديد .

(٦٠) وقد أطلق الدكتور زكريا الفقي على هذه الظاهرة (النبر الناطق الكلمي) وفاء بحق المقام ؛ لما يستلزمة من تسمية قسيمٍ للنبر (الناطق الحرفيّ)؛ ليَبِينَ منه ؛ انظر الأحرف الهوامل ص ٢١٢، ٢١٣.

(٦١) انظر الأحرف الهوامل:ص ١٥٨،١٦٢، ١٧٠- ١٧٥، ٢١٧.

(٦٢) المنصف : ٢/ ٢٢٥، ٢٢٦ .

(٦٣) المنصف :٢٢٦/٢ .

(٦٤) انظر الأحرف الهوامل :ص ٢٥٩ .

(٦٥) مغني اللبيب : ٢/ ٦٠٧.

(٦٦) اللسانيات وأسسها المعرفية :ص ١٢٠.

(٦٧) مقدمة للقارئ العربي: ص ٣٠٤.

(٦٨) اللسانيات النشأة والتطور: ص ١٢٦.

(٦٩) مقدمة للقارئ العربي: ص ٣٠٢.

(٧٠) مقدمة للقارئ العربي:ص٣٠٤،٣٠٣.

(٧١) تاريخ علم اللغة الحديث: ص ١٥٨ .

(٧٢) مقدمة للقارئ العربي:ص٣١٠،٣٠٩.

(٧٣) السابق:ص٣١٠، وانظر:اللغة والمجتمع : ص١٧.

(٧٤) اللسانيات النشأة والتطور:ص١٧٥.

(٧٥) مقدمة للقارئ العربي:ص ٣١٢.

(٧٦) اللسانيات النشأة والتطور:ص١٨٠، ١٨١.

(٧٧) البلاغة والأسلوبية: ص ٣٩ .

(٧٨) معاني النحو : ١/٨ .

(٧٩) التعريفات: ص ٩٩.

(٨٠) السابق: ص ١٣٥ .

(٨١) الخصائص : ١/ ٣٣ .

(٨٢) دلائل الإعجاز : ص٤١٧.

(٨٣) البيان والتبيين:١ / ١٣٥ .

(٨٤) وقد فسَّر تمام حسان هذه الأوصاف في ضوء ارتباطها بالسياق، انظر موقف النقد العربي من دلالات ما وراء الصيغة مج ٢ / ٧٨٦- ٧٩٥.

(٨٥) دلائل الإعجاز : ص ٢٥٠ .

(٨٦) البيان والتبيين : ١/ ٨٢.

(٨٧) السابق : ١/ ٨٢ .

(٨٨) مغني اللبيب: ٢/ ٦٠٥.

(٨٩) مغني اللبيب : ٢/ ٦٠٦.

(٩٠) ٤٠ / يس .

(٩١) مغني اللبيب : ١/ ٢٦٩، ٢٧٠.

(٩٢) ٢٥ / الشورى .

(٩٣) ١٦ / الأحقاف .

(٩٤) ٢٧ / المائدة .

(٩٥) ١٢٧ / البقرة .

(٩٦) مغني اللبيب : ١/ ١٦٩.

(٩٧) دلائل الإعجاز : ص ٢٦٥ .

(٩٨) ٢٤٦ / البقرة .

(٩٩) مغني اللبيب : ٢ / ٦٢٧.

(١٠٠) ٨٧ / الزخرف .

(١٠١) ٩ / الزخرف .

(١٠٢) مغني اللبيب : ٢/ ٦٨٣.

(١٠٣) مغني اللبيب : ٢/ ٦٥٣.

(١٠٤) مغني اللبيب : ٢/ ٦٧٩.

(١٠٥) مغني اللبيب: ١/ ٦٣ .

(١٠٦) الخصائص : ٢/ ٣٦٢.

(١٠٧) مغني اللبيب : ٢/ ٧١٠.

(١٠٨) معاني النحو : ١١/١.

(١٠٩) ١، ٢ / الكهف .

(١١٠) مغني اللبيب: ٢/ ٦١٣، ٦١٤ .

(١١١) ٤٠ / الإسراء .

(١١٢) ١٤٩/ الصافات .

(١١٣) ١٥/ الطور .

(١١٤) مغني اللبيب : ١/ ٢٤.

(١١٥) ٩٥/ الصافات .

(١١٦) ٤٠ / الأنعام .

(١١٧) مغني اللبيب : ١/ ٢٤، ٢٥.

(١١٨) ٦٢/ الأنبياء .

(١١٩) ٦٣/ الأنبياء .

(١٢٠) مغني اللبيب : ١/ ٢٥ .

(١٢١) مفتاح العلوم : ص ٣١٣ .

(١٢٢) الموافقات : ٣/ ٣٤٧.

(١٢٣) ٢/ المسد .

(١٢٤) صححه الألباني، انظر سنن أبي داود ٢٨٨/٣ رقم ٣٥٢٨ .

(١٢٥) ١٠/ آل عمران .

(١٢٦) مغني اللبيب: ٣٤٥/١.

(١٢٧) مغني اللبيب: ٦٩٤/٢.

(١٢٨) ٩/ النساء .

(١٢٩) مغني اللبيب: ٢٩٠/١.

(١٣٠) مغني اللبيب: ٤٠٠/٢.

(١٣١) مغني اللبيب: ٦٨٣/٢.

(١٣٢) ٦٣/ طه .

(١٣٣) مغني اللبيب: ٦٨٣/٢.

مصادر البحث، ومراجعه:

١- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام : ابن دقيق، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي – ت ٧٠٢ هـ، تحقيق أحمد محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م .

٢- الأدلة الاستئناسية عند الأصوليين : الكناني، أشرف بن محمود عقلة، دار النفائس، عمّان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٣- البحث الدلالي عند الأصوليين: حبلص، محمد يوسف، مكتبة عالم الكتب، ١٩٩١م .

٤- بدائع الفوائد : ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الدمشقي الحنبلي ت ٧٥١ هـ، تحقيق علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد (بدون تاريخ) .

٥- البرهان في أصول الفقه: الجويني، إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف - ت٤٧٨هـ، تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٦- البلاغة والأسلوبية : عبد المطلب، محمد، مكتبة لبنان الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الأولى١٩٩٤م.

٧- البيان في روائع القرآن: حسان، تمام، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٨- البيان والتبيين: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر - ت ٢٥٥هـ، تحقيق علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت١٤٢٣ه .

٩- تاريخ علم اللغة الحديث: هلبش، جرهارد، ترجمة سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشروق، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .

١٠- التعريفات، الجرجاني: علي بن محمد بن علي - ت ٨١٦هـ، تحقيق و ضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١١- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ابن الأثير، نصر الله بن محمد- ت ٦٣٧هـ تحقيق د. مصطفى جواد، ود. جميل سعيد مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م .

١٢- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، تدقيق وفهرسة حسن نجار محمد، مكتبة الأدب، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م .

١٣- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للتفتازاني: الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة المالكي- ت ١٢٣٠ هـ، مكتبة رشيدية–كراتشي (بدون تاريخ).

١٤- الخصائص: ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي – ت ٣٩٢هـ، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الخامسة٢٠١١م .

١٥- دلائل الإعجاز في علم المعاني: الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن - ت٤٧١هـ، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٦- الرسالة : الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس القرشيّ - ت٢٠٤هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .

١٧- سر صناعة الإعراب: ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي – ت ٣٩٢هـ، تحقيق محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي عامر، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولي ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

١٨- سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني- ت ٢٧٥هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا – بيروت (بدون تاريخ).

١٩- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : السعران، محمود، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٩٧م .

٢٠- قرينة السياق: حسان، تمام، الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، مطبعة عبير للكتاب، سنة (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٢١- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي : علاء الدين، عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري، الحنفي- ت٧٣٠هـ، دار الكتاب الإسلامي (بدون تاريخ) .

٢٢- اللسانيات وأسسها المعرفية : المسدي، عبد السلام، الدار التونسية للنشر- تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر ١٩٨٦م .

٢٣- اللسانيات النشأة والتطور: أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م .
٢٤- اللغة العربية معناها ومبناها: الدكتور حسان، تمام، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
٢٥- اللغة والمجتمع رأي ومنهج : السعران، محمود، المطبعة الأهلية ببني غازي(بنغازي)، الطبعة الثانية ١٩٦٣م .
٢٦- اللغة والمعنى والسياق: لاينز، جون، ترجمة عباس صادق الوهاب، ويؤيل عزيز، دار الشئون الثقافية العامة الطبعة الأولى ١٩٨٧م .
٢٧- معاني القرآن: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي – ت٢٠٧هـ، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .
٢٨- معاني النحو : السامرائي، فاضل صالح، طبعة شركة العاتك، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م .
٢٩- معجم علم الأصوات : الخولي، محمد علي، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٣٠- مغني اللبيب : ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف الأنصاري المصري – ٧٦١هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية لبنان، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .
٣١- مفتاح العلوم : السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي - ت ٦٢٦هـ، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٣٢- من زيادة الأحرف الهوامل في التركيب، بحث في أصول النبر الدلالي وصوره في العربية: الفقي، زكريا شحاته، الدار المصرية ٢٠٠٣م.
٣٣- المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني: ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي – ت ٣٩٢هـ، دار إحياء التراث القديم، الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
٣٤- الموافقات في أصول الشريعة : الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي - ت٧٩٠هـ، شرح الشيخ عبد الله دراز، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
٣٥- موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة اللغوية: حسان، تمام، أبحاث ومناقشات الندوة التي أقيمت في نادي جدة الأدبي الثقافي من ١٩إلى ١١/٢٤/ ١٩٨٨م، المجلد الآخر من ص٧٨٣ إلى ٧٩٥ .
٣٦- النحو والدلالة : حماسة، محمد عبد اللطيف، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .